سياسة حافة الهاوية في المفاوضات الأمريكية الإيرانية

بقلم:
د. نبيل فهمي ○

في لحظة بدت فيها منطقة الشرق الأوسط على حافة انفجار واسع، جاء اتفاق وقف إطلاق النار الأخير بين الولايات المتحدة وإيران، كـ«هدنة اضطرارية» مرحب بها، على أمل أن تستثمر كمدخل إلى مفاوضات مكثفة وجادة لتحويلها إلى اتفاق سلام مستدام. بعد أن ابتعدنا ولو مؤقتًا، عن حافة هاوية خطيرة وصدامات غير محكومة العواقب.

وما يعكس صعوبة الموقف أن كلا الطرفين، وعلى أعلى المستويات، أعلن أن ما تحقق يمثل انتصارًا لرؤيته، رغم التباين الجوهري، بل والتناقض الواضح، بين مواقفهما المعلنة، والتعمق في تفاصيل الاتفاق يكشف أنه مثقل بتناقضات متعددة بين ما كان كل طرف يطرحه علنًا من مطالب، وما قبل به فعليًّا في نهاية المطاف، فضلًا عن الاختلافات الواضحة في تفسير بنوده وتوصيف طبيعته. وهو ما يجعله في حاجة ماسة إلى تثبيت وتدعيم سياسي وقانوني لمنع انهياره وضمان استدامته.

على مدى الأشهر الماضية، طرحت واشنطن مجموعة مطالب قاطعة وصارمة: تغيير النظام الإيراني أو ما يثبت تغير سلوكه، وقف كامل لتخصيب اليورانيوم، تفكيك البرنامج الصاروخي، تقليص النفوذ الإقليمي لإيران، وتقديم ضمانات أمنية واضحة لإسرائيل.

اعتبرت إيران هذه الطلبات خطوطًا حمراء غير قابلة للتفاوض، بوصفها تمس السيادة الوطنية والحقوق الاستراتيجية، ولا يبدو أن «الهدنة» الحالية تتضمن أيًا من هذه العناصر بصورة صريحة، وإضافة إلى ذلك يقتصر الاتفاق على وقف مؤقت للعمليات مدة أسبوعين دون أي التزامات طويلة الأمد أو آليات تحقق واضحة. حتى في ملف الملاحة، الذي يبدو ظاهريًا إنجازًا أمريكيًا، فإعادة فتح مضيق هرمز مؤقتا قبل بدء المفاوضات جاء بشروط إيرانية، من بينها إشرافها العسكري، وسعيها إلى فرض رسوم عبور، وهو ما يُتعارض مع مبدأ «حرية الملاحة» الذي دافعت عنه واشنطن سنوات. قبل أن يتدهور الوضع لاحقا بإعلان ترامب فرض حصار بحري أمريكي.

في المقابل، طرحت إيران هي الأخرى شروطًا قصوى تمثلت في رفع كامل للعقوبات، انسحاب القوات الأمريكية من المنطقة، الإفراج عن الأصول المجمدة، والحصول على ضمانات بعدم التعرض لهجمات مستقبلية، بل والمطالبة بتعويضات عن الخسائر. غير أن الاتفاق لم يحقق أيًا من هذه المطالب بشكل فعلي أو موثق. فلا يوجد نص واضح على رفع العقوبات، ولا التزام أمريكي بالانسحاب العسكري، ولا حتى جدول زمني لمناقشة هذه القضايا. كل ما تحقق هو «وقف مؤقت للعمليات»، وهو أقل بكثير مما كانت تطمح إليه طهران.

والأهم من ذلك أن إيران، التي كانت ترفض مبدأ التفاوض تحت الضغط العسكري، قبلت عمليًا بهذه الهدنة، مما يمثل تراجعًا تكتيكيًا عن موقفها المعلن.

منذ بدء المفاوضات لم تُنشر نصوص رسمية مكتملة، وتضمنت بعض التقارير أن الطرح الإيراني – الذي قُدّم كأساس للتفاوض وفق الرواية الرسمية الإيرانية – يتضمن اعترافًا بحق إيران في تخصيب اليورانيوم، وهو ما يتعارض مباشرة مع الخط الأحمر الذي أعلنته واشنطن. كما يتردد أن هذا البند قد جرى تخفيف صياغته أو حذفه في النسخة الإنجليزية المتداولة من إيران، بينما ظل أكثر وضوحًا في النسخة الفارسية، بما يعكس محاولة لإدارة التناقض بين الداخل والخارج، وأخيرًا نشر أن أساس المفاوضات هو مشروع باكستاني تضمن تعديلات على النقاط الإيرانية وتمت الموافقة عليه في اللحظات الأخيرة قبل انتهاء المهلة التي حددها ترامب.

وربما أخطر ما في هذا الاتفاق ليس نصوصه بقدر ما هو اختلاف تفسيره بين واشنطن وطهران. فالولايات المتحدة تعلن أنه «انتصار كامل»، معتبرة أن أهدافها العسكرية تحققت وأن إيران رضخت للضغوط، وأن إعادة فتح مضيق هرمز كما تم إعلانه في البداية دليل على النجاح. في المقابل تعرضه إيران باعتباره انعكاسًا لسيطرتها، وتصفه بأنه «وقف مشروط للعمليات» مرتبط بسلوك الطرف الآخر، وليس تنازلاً عن حقوقها، مؤكدة استمرار حقها في التخصيب ونفوذها الإقليمي.

كما يمتد التباين إلى تفسير نطاق الاتفاق ذاته، وغياب تعريف موحد حتى لمفهوم «وقف إطلاق النار» نفسه، وتتجلى هذه التناقضات في عدد من الملفات الأساسية ومنها:

○ مضيق هرمز: تريده واشنطن مفتوحًا، بينما تريده إيران مفتوحًا بشروطها وتحت سيطرتها.

○ البرنامج النووي: تتحدث واشنطن عن معالجته لاحقًا، بينما تصر إيران على أنه حق سيادي غير قابل للتفاوض.

○ العمليات الإقليمية: تفصل إسرائيل –وإلى حد ما الولايات المتحدة– بين الاتفاق وساحات مثل لبنان، وشنت إسرائيل عمليات إجرامية بعد الإعلان بساعات، فيما ترى إيران أن أي تهدئة يجب أن تشمل حلفاءها، وهو ما أكده الوسيط الباكستاني كجزء من الاتفاق.

○ طبيعة الاتفاق: تصفه واشنطن كبداية لمسار سلام، بينما تعتبره إيران مجرد هدنة مؤقتة قابلة للانهيار، في الوقت نفسه استمرت العمليات الإيرانية الغادرة ضد عدد من دول الجوار الخليجي العربي.

○ التعويضات: تطالب إيران بتعويضات أمريكية وإسرائيلية، في حين تطالب الدول العربية التي تعرضت لاعتداءات بتعويضات من إيران.

هذه التناقضات ليست مجرد تفاصيل تقنية، بل تعكس غياب «تفاهم مشترك» حول جوهر الاتفاق. فكل طرف يتعامل معه كأداة تكتيكية لتحقيق أهدافه الخاصة، وليس كإطار ملزم ومتفق عليه. وهو ما يفسر هشاشته البنيوية: فعندما يكون هناك اتفاق واحد بتفسيرين مختلفين، ترتفع احتمالات انهياره.

ومن هنا، يتضح أن هذا الاتفاق لا يمثل تسوية حقيقية بقدر ما يعكس «تداخل روايات». فهو لا يحقق الشروط القصوى لأي من الطرفين، ولا حتى الحد الأدنى منها بشكل واضح، ويترك القضايا الأساسية معلقة دون حسم.

ومع ذلك، تم التوصل إليه لأن الطرفين الأمريكي والإيراني بلغا درجة من الإرهاق العسكري والاقتصادي والسياسي جعلت الحاجة إلى هدنة أمرًا ملحًا لا يمكن تأجيله.

ويمكن القول إن أخطر ما في الاتفاق ليس ما يتضمنه، بل ما يتجاهله: غياب تعريف مشترك لمفاهيم أساسية مثل «وقف إطلاق النار»، و«الحقوق النووية»، و«حرية الملاحة». لذلك، فإن استدامته ستعتمد على القدرة – أو الفشل – في توحيد تفسيره وبناء أرضية مشتركة ملزمة.

لقد دفع المجتمع الدولي بأكمله والأطراف المتحاربة ثمناً باهظاً للمواجهة. لذا رغم عدم نجاح الجولة التي استضافتها باكستان ورغم التناقضات والتعقيدات والتباينات فإن هذه الهدنة تظل خطوة أولى ضرورية، نحو مفاوضات تفصيلية وجادة، تستند على جهود باكستان وسلطنة عُمان ومصر وتركيا والصين.

هناك أفكار طُرحت في أوساط دبلوماسية متعددة، من بينها ما عرضه وزير الخارجية الإيراني السابق محمد جواد ظريف، بل وما طرحته شخصيا من قبل مع بداية الاشتباكات، وكلها دلائل واضحة على الأهمية البالغة للدبلوماسية، وضرورة حل النزاعات عبر الوسائل السلمية، على أن تكون الاتفاقات حاسمة تنهي النزاعات وترسخ علاقات حسن الجوار.

○ وزير الخارجية المصري الأسبق.

دول الخليج ستظل نموذجا للنجاح التنموي والبناء الحضاري

بقلم:
عبدالهادي الخلاقي ○

تبرز المقارنة بين المسارين الإيراني والخليجي خلال العقود الخمسة الماضية تبايناً جوهرياً في أولويات التنمية وتوجيه الموارد حيث ركزت إيران بشكل مكثف على بناء ترسانة عسكرية ونفوذ إقليمي بينما استثمرت دول الخليج العربية في مجال التنمية وبناء اقتصادات متنوعة ورفاهية شعوبها.

على مدى نصف قرن جعلت إيران بمشروعها التوسعي العدواني من التسلح وتطوير القدرات العسكرية وتمويل وتسليح أذرع عسكرية كحزب الله في لبنان والحوثيين وفصائل في العراق وسوريا وخلايا نائمة في عدد من دول العالم أولوية استراتيجية، ومما لا شك فيه أن هذا التسلح والإنفاق العسكري كان له كلفة اقتصادية باهظة استنزفت معظم موارد الدولة، هذا الإنفاق الضخم وتكاليف دعم المليشيات جاء على حساب رفاهية المواطن وجودة البنية التحتية والخدمات في الداخل الإيراني مما أدى إلى أزمات اقتصادية متلاحقة واحتجاجات شعبية تطالب بتوجيه الأموال للداخل بدلاً من هدرها في تمويلات بالخارج.

ونتيجة لهذا السياسات إلى جانب العقوبات الدولية أدى ترجيح كفة الإنفاق العسكري والتمويل الإقليمي لأذرعها الإرهابية في دول المنطقة على حساب الإصلاحات الهيكلية إلى اختناق الاقتصاد وتراجع التنمية الداخلية وانهيار العملة وتآكل القدرة الشرائية للمواطن الإيراني مما جعل التضخم يتجاوز عتبة الـ 40% في السنوات الأخيرة، وإلى 65% بحلول منتصف مارس 2026 وهو ما سحق الطبقة المتوسطة، كما فقد الإيرانيون أكثر من 90% من قدرتهم الشرائية خلال السنوات الثماني الماضية وأصبح نحو 40–45% من السكان يعيشون تحت خط الفقر.

في المقابل ركزت دول الخليج العربية على تحويل الثروة النفطية إلى بنية تحتية ورفاهية مستدامة لشعوبها، حيث استثمرت في البنى التحتية والتعليم والصحة والسياحة والاقتصاد والتنمية المستدامة مما خلق بيئة جاذبة للاستثمارات العالمية ورؤوس الأموال، كما اعتمدت دول الخليج العربية على الاندماج في الاقتصاد العالمي والشراكات الدولية كأداة للنفوذ بدلاً من الاعتماد على إظهار القوة العسكرية.

وبينما لهثت إيران خلف التسلح العسكري على حساب رفاهية شعبها وتنمية اقتصادها، بنت دول الخليج قوة اقتصادية جعلتها مركزاً عالمياً للتجارة والاستثمار والابتكار، هذا التحول لم يكن وليد الصدفة بل جاء نتيجة رؤى استراتيجية طويلة الأمد حتى أصبحت الرؤى التنموية الخليجية محركات للنمو الاقتصادي العالمي وتنعكس آثارها الإيجابية على اقتصادات دول المنطقة والعالم مما يعزز الاستدامة والابتكار.

شتان بين من يسعى إلى حمل السلاح وهدم الحياة ومن يحرث أرضاً ويزرع شجرة، فبينما يستنزف السلاح الأرواح والموارد ويترك خلفه الدمار فإن من يحرث الأرض يضع بذور الحياة والاستدامة، هذا التوجه هو ما تتسابق إليه دول مجلس التعاون الخليجي حيث حولت تركيزها من الصراعات التقليدية إلى صراعات من نوع آخر سباق نحو الابتكار وتوسيع الرقعة الخضراء وبناء مدن المستقبل هذا الحرث أصبح استثماراً في العقول عبر التعليم والتمكين واستثماراً في الأرض والموارد من خلال مشاريع الطاقة النظيفة والأمن الغذائي والسياحة وبناءً للمستقبل بدلاً من الانشغال بصراعات الماضي، والأمم التي تختار المحراث هي التي تصنع التاريخ وتضمن لأجيالها القادمة وطناً يزدهر فيه الإنسان.

النجاحات الكبيرة التي حققتها دول الخليج العربية وضعتها بالفعل تحت المجهر الإقليمي والدولي مما خلق واقعاً جيوسياسياً معقداً، حيث يرى العديد من المحللين أن الفجوة التنموية بين دول الخليج العربية وإيران تُعد أحد أسباب العداء الفارسي تجاه دول الخليج تحديداً بالإضافة إلى الأحقاد التاريخية نتيجة لإسقاط الإمبراطورية الفارسية أثناء الفتوحات الإسلامية لبلاد فارس.

ويمثل النجاح الخليجي تحدياً وجودياً للنموذج الإيراني القائم على التوسع الايديولوجي مما يفسر استمرار محاولات العداء وزعزعة الاستقرار في المنطقة وعلى الرغم من التصعيد الإيراني العدائي غير المبرر لا يزال قادة دول مجلس التعاوني الخليجي يدفعون بمبدأ تجنيب المنطقة ويلات الصراع من خلال خفض التوتر وتجنب الانزلاق نحو حرب شاملة، مع تأكيدهم أن حسابات إيران خاطئة وخطيرة إذا اعتقدت أن دول الخليج العربية غير قادرة على الرد العسكري والدفاع عن النفس.

وهذا الموقف يعكس النضج السياسي العميق لقادة دول مجلس التعاون فهم يفرقون جيداً بين القدرة على الرد والانزلاق في حرب طاحنة والرغبة في الحفاظ على المكتسبات وتجنيب المنطقة ويلات الحروب ونتائجها المدمرة، فالنصر الحقيقي ليس في تحطيم الخصم بل في القدرة على تحييد الصراع قبل وقوعه، والحكمة المعاصرة تقول: لا يجدر بك خوض كل الحروب فبعضها يستحق أن تدير لها ظهرك، فأن تكسب نفسك بالتجاهل خير من أن تخسرها في انتصار زائف.

○ باحث وكاتب صحفي.
Abdulhadi.alkhalaqi@gmail.com1

هدنة مؤقتة.. أم بداية الطريق لإنهاء الحرب؟

بقلم:
عاطف أبو سيف ○

هل انتهت الحرب ليس تماماً. أيضاً هذا لا يعني بشكل قاطع أنها ستعود مرة أخرى.

المؤكد أن الأطراف المختلفة توصلت إلى قناعة بوجوب التوقف قليلاً والبحث في بدائل لحل الصراع.

صحيح أن الولايات المتحدة دخلت الحرب من أجل إسرائيل، ومن أجل كبح جماح التطلع الإيراني للحصول على السلاح النووي إلا أنها توجهت للتفاوض مع طهران دون توافق تام مع تل أبيب، وهي قد تتوصل إلى اتفاق سلام مع طهران بعيداً عن الخطط الإسرائيلية، وبقدر ما تم فهم الحرب على أنها حماية أمريكية لإسرائيل وربما توصل المرء إلى استنتاج بأن ترامب يعمل وكيلاً لنتنياهو بقدر ما وضعت واشنطن نفسها في موقع المتصرف والمقرر في مصير الحرب.

ترامب لا يبدو دمية بيد نتنياهو، ولا يبدو ساذجاً كما يطيب للكثيرين تصوير الأمر معتمدين على شطحاته ومقاطعه على موقع تروث سوشيال، خاصة حين يتحدث عن الحرب وعن الدول الأخرى والسياسة العالمية، لا يبدو كذلك تماماً، وربما كل هذا جزء من شخصيته التي نعرفها، لكنه في المقابل نجح في دفع إسرائيل لوقف حرب كان سقف الأهداف فيها أكبر بكثير من أي شيء آخر نعرفه بعد وقف القصف.

بل إنه وبنفس طريقته اعتبر موافقة طهران على وقف إغلاق مضيق هرمز انتصاراً كبيراً.

يصعب توقع تصرفاته؟ نعم بالتأكيد لا أحد يتوقع ماذا سيفعل بعد ساعة، لكنه دائماً قادر على فرض موقفه ورأيه حينما يصر على ذلك.

حتى اللحظة فإن الأطراف المتحاربة تدعي تحقيق النصر في هذه الحرب، أقصد بذلك اللاعبين الثلاثة: الولايات المتحدة وإيران وإسرائيل.

عموماً هذه حرب المنتصرين تماماً كما حدث في غزة، انتصرت حماس وانتصرت إسرائيل وفق بيانات الطرفين، فطهران فهمت أنها قد لا تستطيع هزيمة تل أبيب وواشنطن وأنهما قد لا تستطيعان تنفيذ برامجهما بالقضاء على القدرات الصاروخية الإيرانية وقتل الطموح النووي الإيراني والإطاحة بالنظام، إلا أنها تعرف أن الاستمرار بالحرب سيعني تدمير البلاد وهي لا تريد تدمير البلاد ولا تريد أن تمضي السنوات القادمة ببناء الجسور والطرقات والمباني، لذا كانت الموافقة على المفاوضات مع واشنطن وسيلة للنزول عن الشجرة.

وحين يدعي كل طرف أنه انتصر فإن الجميع نزل عن الشجرة مقتنعاً بأن الآخرين ما زالوا فوقها.

والحال كذلك فإن ما جرى ليس بأكثر من الدخول في حرب من نوع مختلف لكنها بالضرورة قد لا تقود لنفس الحرب وإن كانت تسعى إلى نفس الأهداف.

من المبكر الحكم على نتائج مفاوضات إسلام أباد وما بعدها، لكن مثل كل مفاوضات فهي ليست إلا طريقة أخرى لتحقيق نفس الأهداف السابقة.

وفيما قد نشهد حرباً باردة وحرب استنزاف وحرباً استخباراتية فإن طهران ستسعى إلى جعل هذه المفاوضات حبل نجاة حتى تتحقق المعجزة، وإن كان ثمن ذلك التضحية بحلفائها وتغيير جلدها.

عام 1998 وصلت إلى نيودلهي مساء اليوم الذي قامت فيه الهند بإجراء تجربتها النووية الأولى.

كان الشبان والشابات يرقصون فرحاً في شوارع حي الفيزنت فاهار الفاخر في المدينة حتى الصباح.

حين استيقظت في اليوم التالي كان السائق الذي يرافقنا عابساً وحزيناً.

سألته ما به فقال بحزن: إن الباكستان قامت بتجربتها النووية أيضاً.

يصعب تخيل قبول تل أبيب بترك طهران دون نزع مخالبها ودون الفتك بقوتها النووية المحتملة وبقدراتها الصاروخية التي أربكت كل حسابات الحرب.

تل أبيب لا تريد أن تصحو ذات صباح على خبر امتلاك طهران للسلاح النووي. تريد أن تتجنب هذا الكابوس. حتى يصعب تصديق أنها قد تقبل أن يكون النظام الإيراني إذا امتلك سلاحاً نووياً يمكن أن يصبح صديقاً لها.

في كل الأحوال الموقف الإسرائيلي سيظل يعمل على أن يخلو محيطها من أي قدرات نووية مهما كلف الثمن. لذا فإن المفاوضات إن لم تقد إلى لجم وكبح إيران النووية فإن الحرب القادمة ستكون على الأبواب.

الآن نعود إلى السؤال عن الحالة العربية. لعل ما يجري من استمرار الحرب في لبنان نموذج عن حالنا. فحزب الله الذي دخل الحرب دفاعاً عن إيران ضمن محور تقوده طهران وكان سابقا قد تركته وحيداً.

توقفت الحرب في إيران ولم تتوقف في لبنان. وبعيداً عن البلاغة والخطابة وربما مطالب طهران بوقف الحرب على لبنان، فإن ما يحدث فعلياً أن طهران تركت بيروت وحيدة تقاتل في معركة دخلها الحزب من الأساس للدفاع عن طهران.

توقفت الحرب في طهران ولم تتوقف في بيروت.

لم نسمع طهران تقول إنها لن توقف الحرب بما أنها لم تتوقف في بيروت أو إنها ستوقف الحرب مع أميركا وتواصلها مع تل أبيب حتى توقف الأخيرة عدوانها على بيروت.

بل ما يحدث أن الحرب على لبنان صارت نقطة من نقاط الحوار مع واشنطن.

يمكن توقع ثمن ذلك أن تتم التضحية بحزب الله ضمن موافقة إيران على مقايضة حضورها الإقليمي السابق بحضور إقليمي تخرج فيه من دائرة الأعداء القدامى وتعيد وفقه ترتيب أمورها في الإقليم بما يجعلها إن كانت ليست صديقة فإنها ليست عدواً.

من غير المعروف إذا ما كانت طهران ستضحي بحزب الله أم إنها ستتكفل بعقلنته وتدجينه كما سيتم تدجين طهران بطريقة ما في حال تم التوصل إلى اتفاق، غير أن تدجين الحزب سيعني نزع مخالبه حتى تنمو مخالب طهران الجديدة.

هذا وارد بشكل كبير. لكن أيضاً من الوارد أن يفشل كل شيء.

ومع ذلك فإن المحقق أن لبنان لأسبوع الآن يواجه الحرب وحيداً، الحرب التي دخلها دفاعاً عن إيران التي تتنفس الصعداء الآن بعد أسابيع من القصف المتبادل.

السؤال الأخير: هل ستظل الدول العربية ساحات لحروب واشنطن وتل أبيب القادمة في المنطقة؟.

○ كاتب من فلسطين.

مساومات صعبة بين أطراف متشددة

بقلم:
طلال عوكل

مُخطئ من كان يتوقّع أن تُسفر المفاوضات عن نتائج فورية حتى لو أنها استغرقت وقتاً أطول.

حتى أن 21 ساعة من مفاوضات الجولة الأولى، كانت أكثر من كافية، حتى يدرك الطرفان والوسطاء، أن هذه الجولة لا يمكن أن تتوصل إلى تقاطعات أوّلية بشأن بعض المفاصل.

المفاوضات كانت من الأساس فاشلة حين تراجع رئيس أمريكا دونالد ترامب عن ما وافق عليه بشأن شمول وقف إطلاق النار الجبهة اللبنانية.

ويضيف عليها الطرف الإيراني أنه كان على أمريكا أن تفرج عن الأموال الإيرانية المجمّدة لدى قطر قبل أن تبدأ المفاوضات.

وكانت بوادر الفشل واضحة، بسبب موافقة رئيس حكومة الاحتلال بنيامين نتنياهو على وقف إطلاق النار، ولكن دون أن يشمل لبنان، ثم أضفى مصداقية على موقفه، حين ارتكبت دولة الاحتلال مجزرة وحشية شملت معظم مناطق لبنان بما في ذلك العاصمة بيروت.

بعد جولة قتال أولى في العام المنصرم، استمرت لـ 12 يوماً وحرب أخرى تجاوزت كل التقديرات الأمريكية الإسرائيلية، توقفت مؤقتاً بعد نحو 6 أسابيع، ما كان يمكن لمفاوضات لا يتمتع فيها أي طرف بثقة الطرف الآخر أن تنجح في وقف الحرب.

حين يطلع المرء على الشروط الخمسة عشر الأمريكية، ومقابلها الشروط العشرة الإيرانية، لا بدّ أن يستنتج، أن الهوّة واسعة إلى حدّ تحتاج معه إلى مفاوضات طويلة مضنية، حتى ينزل أحد الطرفين عن الشجرة، التي يصعد إليها.

أسباب كثيرة لا تدعو إلى التفاؤل، إذ يريد ترامب، أن تؤدّي هذه الحرب إلى تحقيق انتصار تاريخي حاسم، من شأنه أن يشكّل خطوة كبيرة نحو شعار «لنجعل أمريكا عظيمة».

وكان نتنياهو، أيضاً، يريد استغلال وجود رئيس مثل ترامب باعتباره فرصة أخيرة حتى يحقّق «شعار إسرائيل عظيمة»، بل الأعظم والمهيمن على الشرق الأوسط، تمهيداً لتحقيق هدف «إسرائيل الكبرى».

حتى الآن، فشل الطرفان في تحقيق الانتصار الذي يرغبان في تحقيقه، ولا يبدو أن نتائج الحرب حتى اللحظة، يمكن أن تزكّي مزاعم ترامب، بشأن تحقيق الانتصار المزعوم الذي يردّده كل الوقت.

والحال ذاته، فيما يتعلّق بنتنياهو الذي يسوّق لدى مجتمعه الاستيطاني أنه حقق انتصارات عظيمة، ولم يبقَ إلّا القليل حتى يعلن الانتصار الساحق.

فشل الطرفان في كل الحروب التي خاضاها معاً سواء في قطاع غزّة، أو في لبنان، أو في إيران، ما يشير إلى أن المنطقة لا تزال مفتوحة على استمرار الحروب.

ربّما أراد ترامب، أن يجد سبيلاً لمساومة ما، تجعله يدعي تحقيق الانتصار، لكن نتنياهو ليس في وارد وقف الحروب العدوانية، فإن أقفلت أو هدأت في منطقة، حتى يعود ويُشعلها في منطقة أخرى.

نهاية الجولة الأولى من المفاوضات، بالفشل لا تعني أن الباب أصبح مغلقاً على جولات أخرى، فقد تشهد الأيّام المقبلة عودة نشطة لحركة الوسطاء، خصوصاً بعد أن عرف كل طرف حدود حركة الطرف الآخر من الجولة الأولى.

يبدو أن وقف إطلاق النار، قدم فرصة استراحة للطرفين، لإعادة التنظيم استعداداً لجولة قتال قادمة، ما لم يتم الاتفاق.

خلال هذا الوقت، لا بدّ أن القوات الأمريكية بصدد إعادة تموضع نفسها في المنطقة، كما تنشط أجهزة الاستخبارات الأرضية والفضائية و«السيبرانية» لتذخير بنك الأهداف.

كان يكفي ترامب أن تستجيب إيران للمطلب الأساس، الذي يتعلق بفتح مضيق هرمز، وكان ذلك سيعطي إشارة إلى أن إيران، وصلت إلى مستوى من الضعف، سيجعلها تقدم تنازلات أخرى.

تشدد الموقف الإيراني، وعدم قدرة الطرف الأمريكي على فتح المضيق بالقوة، أو بالمفاوضات، من شأنهما أن يضعا ترامب أمام خيارات صعبة، على أن استمرار وقف حركة مرور السفن عَبر المضيق، فترة أطول، من شأنه أن يؤدّي إلى تفاقم الأوضاع الاقتصادية في العالم، بسبب تعطّل إمدادات الطاقة وسلاسل الإمداد، لدول شرق آسيا، وأوروبا.

قد يحرّك هذا الوضع، مواقف بعض الدول التي ناشدها ترامب التدخل للمساعدة في فتح المضيق انطلاقاً من مصالحها.

ما يجري ليس معركة، أو حرباً محدودة، جغرافياً، وسياسياً، إنها حرب المتغيّرات الكبرى، ويبدو أنها حرب كسر عظم، لا يمكن أن تنتهي بإعلان الطرفين الانتصار إذ لا بدّ من منتصر وخاسر في هذه الحرب المجنونة.

وفيما راهن ترامب، واعتقد أن عشرة أيام كافية لتغيير النظام الإيراني، عَبر تسليح وتحريض «المعارضة» الإيرانية، فإن إيران تراهن على ارتدادات الفشل الأمريكي على الداخل، الذي يشهد حراكات قوية.

الوقت من ذهب بالنسبة إلى أمريكا، التي تنتظر انتخابات قد تغيّر موازين القوى والقوة، في غير صالح ترامب وحزبه فإن وقع ذلك، فإن دولة الاحتلال ستكون في وضع يصعب عليها مواصلة حروبها البربرية، ومخططاتها التوسّعية.